الجاف المرير ، وكان في مقدوره عندما يستغرقه الحلم الفلسطيني ان يستبدل المخيم بالقرية التي يعرفها جيدا .

— متى نعود ؟ كان هذا هو الحلم الليلي اليومي الذي حمله هؤلاء الصغار — صغار النزوح الاول . ونما معهم عبر السنوات المرة في مناقع الالم ، وكلما ارتحلوا من بلد الى آخر بحثا عن لقمة العيش . هؤلاء الصغار هم الذين تدثّر لهم ان يصيروا ثوار عام ١٩٦٥ .

الفدائي .. والطفل الفلسطيني

ان الحرب (الانتصار او الهزيمة) تخلق وضعا نفسيا خاصا للجماهير الواقعة في دائرتها . لقد تجلى هذا الوضع بوضوح اثر هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، لقد أحدث الانكسار العسكري انكسارا نفسيا انعكس بحدة على الصغار . وكانت هذه المحنة تمس الطفل الفلسطيني بشكل مباشر ، فقد ارغم الاف الاطفال — مع ذويهم — على النزوح من أرض الوطن خلال وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، ولقد عاش هؤلاء تجربة مريرة ومذهلة وغير قابلة للتصديق بالنسبة اليهم : فجأة يجدون انفسهم هاربين في اتجاه الشرق ، تلاحقهم طائرات مفزعة من فوق وجنود متوحشون في دبابات مخيفة ، فيتدافعون في ذعر يعبرون نهر الاردن على حطام جسر دامي وسط صيحات الهلع والحزن والبكاء . وعلى امتداد الضفة الاخرى من النهر يبحث الكبار عن مكان « يستقرون » فيه ، الكثير منهم يتجه صوب « مخيم الكرامة » . وهناك يكتشف الصغار ان بينهم فدائيين .

لقد عثروا على المعادل الذي ينتشلهم من وضعهم النفسي الاليم وحالة عدم التصديق . « فالفدائي هو البديل عن الجانب المهزوم من الحرب المشتعلة يوميا ، وهو ليس غريبا عنهم ، فهو ابن المخيم ... وهم يعرفونه ، اذ هو يأتي بين الحين والاخر الى المخيم وعلى كتفه سلاحه السحري سريع الطلقات ، ولا بد ان تتاح لهم الفرصة كي يسمعوا منه عن حياة الفدائيين وقتالهم .. »(١) .

لقد استجدت مظاهر حياتية جديدة في بيوتهم ، وصارت لديهم حكايات مثيرة وبلاغات عسكرية ، واناشيد ثورة ، وفدائيون يغتمرون الكوفيات ويتوغلون في ارض الوطن . والهبت شخصية الفدائي خيال ووجدان الاطفال الفلسطينيين في مخيمات النزوح الثاني . لقد ظهر الفدائي علنا . وكانوا يتأملون هذا البطل بمزيج من الحب والتهيب والغموض والتقدير . ثم صاروا يتحلقون من حوله ، يطلبون منه أن يروي لهم ويعلمهم كيف يقاتل الاعداء . لقد صار الفدائي هو « المثل الاعلى » لدى هؤلاء الصغار . لم يعودوا يطمحون في أن يصيروا اطباء او مهندسين . انهم يريدون أن يصيروا فدائيين .

في تسجيل اذاعي (أجراه مراسل اذاعة العاصفة) مع اسرة الشهيد رشاد دياب (أبو الثلاث) علقت شقيقته الصغيرة (١٢ سنة) على استشهاده بقولها : « انني احسد امي لان لها ابنا استشهد »(٢) .

لقد اصبح للموت مفهوم جديد لديهم . ففي دراسة عن جيل النصر(٣) وجه الباحث التربوي ياسم سرحان هذا السؤال الى عينة من الاطفال : « كيف تشعر عندما تسمع بموت فدائي ؟ » اجاب ٢٦٪ منهم بانهم يشعرون بالفرح « لانه مات من اجل فلسطين » .